المنظمة والقضية، سواء بارادتهم، أو خضوعاً للهيمنة الاميركية التي باتت تتحكم في بلدانهم ومصائرهم، ووجد بعضهم فرصته لتصفية حساباته مع قيادة المنظمة، متذرعاً، كذباً، بموقف المنظمة خلال أزمة الخليج، ومنساقاً، في عملية خداع شعبه لتغطية موقفه، الى أقصى درجات الهجوم على المنظمة وتشويه موقفها.

أمّا العرب الآخرون، فقد أصبحوا عاجزين ـ أمام حالة الهيمنة الاميركية والتهديد بالعقوبات ـ عن اقامة خط دفاع قوي عن المنظمة والقضية؛ بل ان بعضهم ـ أمام هذه الحالة ـ وجد نفسه مضطراً الى ممارسة استرضاء الادارة الاميركية والطرف العربي الآخر.

وما ينطبق على موقف هؤلاء العرب الآخرين ينطبق على موقف معظم بلدان العالم الثالث في آسيا وافريقيا التي كانت تشكّل رصيداً للمنظمة، على الاقل في ساحة الأمم المتحدة.

أمّا اوروبا، وعلى الرغم من تطوّر موقفها ايجابياً، في السنوات الاخيرة، تجاه المنظمة وحقوق الشعب الفلسطيني، وعلى الرغم من انها اقتربت كثيراً من التعاطي مع المسألة الفلسطينية في هذه السنوات الاخيرة، الى درجة انها ساهمت، الى حدّ بعيد، في التأثير في صياغة مبادرة السلام الفلسطينية التي أقرّت في المجلس الوطني الفلسطيني، في الجزائر، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨، وأطلقها الرئيس الفلسطيني في جنيف، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٨، ووعدت بأن تلعب دوراً بارزاً في دفع الادارة الاميركية الى التعاطي مع هذه المبادرة، بحيث تفتح الطريق لحوار جدّي بين الادارة الاميركية والمنظمة يكون منطلقاً الى حل مشكلة الشرق الأوسط، وبحيث تلعب اوروبا دوراً بارزاً في عملية الحل؛ أوروبا هذه تبيّن، من خلال أزمة الخليج وما تلاها وما نتج عنها من بروز العصر الاميركي العالمي بأوضح صوره، انها أعجز من ان تلعب دوراً متميّزاً عن الموقف الاميركي، حتى تجاه بعض القضايا التي لها فيها رأي مختلف، كالقضية الفلسطينية مثلاً. وصدق فيها الوصف الذي أطلقه وزير الخارجية البلجيكية، حين قال: ان اوروبا عملاق اقتصادي وقزم سياسي.

بقي ان أشير الى الحالة الشعبية العربية وقواها وأحزابها السياسية. لقد أحدثت حرب الخليج حالة من التفاعل في الشارع العربي ضد الغزو الاميركي ودول التحالف وضد الأنظمة العربية المرتبطة به ربما لم تحدث في المنطقة العربية منذ عقود من الزمن. ولو ان الحركة السياسية الشعبية، بقواها وأحزابها الوطنية، كانت تتمتّع بالحدّ الادنى من الالتصاق بالحركة الجماهيرية، والقدرة التنظيمية، ووحدة الرؤيا والموقف، لاستطاعت استثمار هذه الحالة الجماهيرية والتفاعل القائم على الشارع العربي وتحويله الى فعل حقيقي يلعب دوره في التأثير في مجريات الامور.

لكن تبيّن، من خلال الأزمة، عجز أحزاب وقوى ما نسمّيه حركة التحرر الوطني العربية، وقصور برامجها وتنظيماتها، وفقدانها الحدّ الأدنى من الوحدة والتضامن فيما بينها، على المستويين القطري والقومي، وعزلتها الجماهيرية؛ واختصاراً تبيّن افلاس هذه الحركة وشيخوختها، وباتت المنطقة بحاجة الى حركة جديدة، شابة برامجاً وقيادات.

هذه الحالة التي تعيشها حركة التحرر الوطني العربية، والتي يبدو ان الادارة الاميركية كانت تعرفها جيداً، أغرت الادارة الاميركية على ان تسقطها من حساباتها، ليس فقط وهي تشدّد من ضرباتها على العراق والاستمرار في ملاحقة شعبه حتى الآن، وانما، أيضاً، وهي تنحاز، كلّية، الى جانب الموقف الاسرائيلي، وتتجاهل الحقوق الفلسطينية وتنكر حق منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيل شعبها في مؤتمر السلام.